



تفريغُ درسٍ بعنوان

شرح كتاب التوحيد

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

لفضيلة الشيخ

عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ غَالِبٍ مُوَأَسِّي

حفظه الله

الدرس الأول

قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء



ميراث الأنبياء

Miraath.Net @Miraath_Net @MiraathNet MiraathF @Miraathalanbeyaa MiraathNetT

تفريغ

شرح كتاب التوحيد

فضيلة الشيخ

عبد الرحمن بن غالب الموسوي

حفظه الله

الدرس الأول — جامع الملك سعود بحي النزلة بجدة، ليلة الثلاثاء السادس
عشر من جمادى الأولى سنة ١٤٤٨هـ



امسح الرمز

واستمع إلى الصوتية

على موقع ميراث الأنبياء

قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

Miraath.Net

الفهرس

4	افتتاحية الشيخ ومنزلت التوحيد
7	كتاب التوحيد ومنهج مؤلفه
11	البسملة وقوله: «كتاب التوحيد»
14	أنواعه الثلاث وتفسير ابن القيم
17	الآيات التي ساقها المؤلف
26	حق الله على العباد وحق العباد عليه
30	المسائل الأربع والعشرون
37	خاتمة الدرس ودعاء الشيخ
38	فوائد الدرس

دليل القراءة

- نص الحديث النبوي
- الآيات القرآنية
- أقوال أهل العلم المنقولة
- أسماء الكتب والمصنفات

بين يدي الدرس

افتتاحية الشيخ ومنزلة التوحيد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين الذي خلق الخلق لعبادته، وأرسل الرسل
للدعوة إلى توحيدِهِ، وأنزل الكتب لبيان حقه على عباده، وجعل
التوحيد أساس الدين وأصل الملة وأعظم واجب على المكلفين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة نرجو بها
النجاة يوم الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام الموحدين
وخاتم النبيين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على
نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

حيّاكم الله يا أحبّة في هذا المجلس الطيّب المبارك في بيت
من بيوت الله عز وجلّ، وهو في شرح كتاب التوحيد لشيخ
الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب. وهذا الدرس إن
شاء الله سيكون في أول ثلاثاء وثالث ثلاثاء من كل شهر.

شرف العلم بالتوحيد

أحبّتي في الله: العلم بالله تعالى، ومعرفة حقه على عباده، وتحقيق توحيده — من أشرف العلوم ومن أعظمها قدرًا. لماذا؟ لأنّ الإنسان يتعلّم ما أوجبه الله عزّ وجلّ عليه من العبادة. ولا شكّ أنّ ممّا افترضه الله عليك وأوجبه عليك — أيّها المسلم — هو التوحيد: أن تُضرد الله عزّ وجلّ بتوحيده والإخلاص له؛ وكذلك أن تتعلّم نواقض التوحيد فتبتعد عنها، وما يكون ناقضًا لكمالها الواجب.

فالتوحيد يا أحبّتي هو أصل دعوة الرسل جميعًا، بل هو أساس قبول الأعمال؛ لا يُقبل منك العمل وأنت مشرك بالله عزّ وجلّ، بل التوحيد سبب من أسباب النجاة في الدنيا والآخرة.

عناية العلماء به

هذا التوحيد اعتنى به العلماء عناية عظيمة، فصنّفوا فيه، وعلمّوا فيه الناس، وشرحوه وبينّوه لهم حتى يتعلّموا؛ بل أفردوا له المصنّفات التي توضّح مسائل العقيدة وتقرّر أدلّتها، وتكشف ما قد يخفى على كثير من الناس من دقائق أحكامه.

والعلماء عِلِّمُوا أَهَمِّيَّةَ التَّوْحِيدِ لِأَنَّهُمْ وَرِثُوا الْأَنْبِيَاءَ؛ فَكَمَا أَنَّ
الرَّسُلَ جَمِيعَهُمْ دَعَوْا إِلَى التَّوْحِيدِ وَعَلَّمُوهُ النَّاسَ، كَذَلِكَ سَارَ
وَرِثَتُهُمْ عَلَى مَا سَارَ عَلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ، فَعَلَّمُوا النَّاسَ التَّوْحِيدَ وَأَلَّفُوا
فِيهِ.



التعريفُ بالكتاب

كتاب التوحيد ومنهج مؤلفه

ومن أجلّ تلك المصنّفات وأعظمها نفعاً: كتاب التوحيد الذي هو حقُّ الله على العبيد، للإمام المجدّد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى؛ فقد جمع فيه جملةً عظيمةً من مسائل التوحيد، وأقامها على الأدلّة من كتاب الله وسنّة النبي صلى الله عليه وسلم، وساق فيه الآيات والأحاديث والآثار على أبوابٍ محكمةٍ تدلُّ على فقهه هذا الإمام وحسن استنباطه، وعنايته ببيان حقّ الله على عباده، والتحذير ممّا ينافي التوحيد أو يقدح في كماله.

وقد لاقى هذا الكتابُ قبولاً واسعاً عند عامّة الناس في جميع العالم، بل اعتنى به أهل العلم تدريساً وشرحاً وتعليقاً، لما اشتمل عليه من تقرير أصول الدين، وبيان حقيقة العبادة ووجوب إخلاصها لله عزّ وجلّ، والتحذير من الشرك ووسائله وذرائعه.

— منهج الشيخ في هذا الشرح —

فانطلاقاً من أهميّة هذا الكتاب ومكانته جاءت هذه الدروسُ شرحاً لمسائله، وتوضيحاً لمقاصد أبوابه، وبياناً لما تضمّنته نصوصه من الأدلّة والفوائد.

ويكون هذا الشرح — بإذن الله — شرحاً مختصراً، لا بالمطوّل الذي يخرج عن المقصود بالاستطراد، ولا بالموجز المُخلّ؛ بل على حسب المستطاع، قصدت أن يكون مُفهِماً للمعنى نافِعاً لطالِب العلم، مع العناية بذكر الأدلّة وتوضيح وجه الاستدلال. ولا ندعي أن هذا الشرح سيحيط بكلّ ما يتعلّق بمسائل الكتاب، ولكن سنذكر كلام أهل العلم عليه. وأسأل الله أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح والإخلاص في القول والعمل.

— معارف منهج المؤلف في كتابه —

امتاز هذا الكتابُ بمنهجٍ علميٍّ رصينٍ في تقرير مسائل التوحيد، يتجلّى لمن قرأه وفهمه في حسن تبويب المؤلف، ودقّة استنباطه، وقوّة استدلاله بالنصوص الشرعية؛ فتجد الكتاب من أوّل بابٍ

فيه إلى آخره قد تضمن الاستدلال من الكتاب والسنة والآثار عن السلف، وبيان أحكام المسائل.

ومن تأمل صنيعة وجده يعتني ببيان توحيد العبادة — توحيد الألوهية — ووجوب أفراد الله تعالى بجميع أنواعها، والتحذير من الشرك الأكبر والأصغر، وبيان ما ينافي كمال التوحيد الواجب أو يقدح فيه، مع التحذير من الوسائل والذرائع الموصلة إلى الشرك.

ومن أبرز معالم منهجه: عنايته بالاستدلال بالآيات والأحاديث، لا بإيرادها فحسب، بل باستنباط المسائل منها؛ وإيراده تراجم الأبواب التي تحمل معاني علمية دقيقة؛ وبيانه خطورة الغلو في الصالحين، والتحذير من التعلق بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ وبيانه ما وقع فيه بعض الناس من أقوال وأعمال تنافي كمال التوحيد — كالحلف بغير الله، أو لبس ما يزعم أنه يدفع العين أو المرض.

فجاء الكتاب جامعاً بين تقرير أصول التوحيد وأدلتها، والكشف عن نواقضه ونواقصه، والتنبيه على الوسائل التي تؤدي إلى

الإِخْلَالُ بِهِ؛ فَكَانَ كِتَابًا عَظِيمَ النِّفْعِ، قَوِيَ الصَّلَةِ بِأَدْلَتِ
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، جَدِيرًا بِالْعَنَائَةِ تَدْرِيسًا وَشَرْحًا وَمَدَارَسَةً.



الترجمة

البسملة وقوله: «كتاب التوحيد»

قال المؤلف رحمه الله: «بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب التوحيد».

وفي بعض النسخ: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم»؛ وفي إحدى النسخ المخطوطة زيادة: «وبه أستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وابتدأ المؤلف بالبسملة اقتداءً بكتاب الله عز وجل، وتأسياً بالأنبياء — فإنهم كانوا يبتدئون بها كما جاء عن سليمان عليه السلام — وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم في مراسلاته، وكذلك ما عليه أهل العلم والمحدثون إذا ألفوا الكتب أو أرسلوا الرسائل.

لَمْ لَمْ يُقَدِّمَ بِخُطْبَةٍ؟

ثم قال: «كتاب التوحيد». وهذه الترجمة تدل على مقصود الكتاب من أوله إلى آخره؛ ولهذا — قال أهل العلم — استغنى بها

عن الخطبة، فلم يُقدّم له بمقدّمتٍ إلا ما ورد في بعض المخطوطات كما تقدّم.

قالوا: لأنّ هذا الكتاب يشتمل على توحيد الألوهية والعبادة، يذكر أحكامه وحدوده وشروطه وفضله وبراهينه وأصول تفاصيله؛ وتوحيد الله قد بينه الله في القرآن. فكان من الأدب في مقام التوحيد ألا يجعل فاصل بين الحق والدال على الحق؛ فالحق الذي لله هو التوحيد، والذي دلّ على هذا الحق هو الله عز وجل، والدليل عليه كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

وهذا من لطائف أثر التوحيد على القلب، كما صنع البخاري رحمه الله في صحيحه إذ لم يجعل له خطبة، بل افتتحه بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى**»؛ لأنّ كتابه كتاب سنّة، ومن المعلوم ألا يتقدّم بين يدي الله ورسوله.

— معنى «كتاب» في اللغة —

«كتاب» مصدر: كتب يكتب كتاباً وكتابت، ومدارّه على الجمع؛ ومنه: تكتب بنو فلان، أي تجمّعوا؛ ويقال لجماعة الخيل:

الكتيبة؛ وسميت الكتابة بالقلم كتابةً لأنها اجتماع الحروف والكلمات. فسمي الكتاب كتاباً لجمعه ما وضع له.

والمراد به هنا: المكتوب الذي جمع خصائص التوحيد وحقوقه ومكملاته، وما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب كالشرك الأصغر والبدع القادحة في التوحيد.

أقسام التوحيد

أنواعه الثلاثة وتقسيم ابن القيم

والتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد الأسماء والصفات

وهو اعتقاد أفراد الربِّ جلَّ وعلا بالكمال المطلق من جميع الوجوه، بنعوت العظمة والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك؛ وذلك بإثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات ومعانيها الواردة في الكتاب والسنة، ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

الثاني: توحيد الربوبية

وهو أن يعتقد العبد أن الله عز وجل هو المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، وكل ما يختص به الله عز وجل.

الثالث: توحيد الألوهية

وهو أهم أنواع التوحيد الثلاثة، ويقال له توحيد العبادة: أن تعترف وتقر بأن الله ذو الألوهية والعبودية، وأن نُفردَه بالعبادة كلها، فنخلص له الدين ولا نعبد إلا الله عز وجل. وهو مقصود الرسل؛ فجميع الرسل أرسلهم الله بالدعوة إلى توحيد الألوهية. إذا ذكر المصنّف رحمه الله في هذه الترجمة من النصوص ما يدل على أن الله خلق الخلق لعبادته والإخلاص له، وأن هذا توحيد الألوهية الحق الواجب لله عز وجل.

تقسيم ابن القيم: نوعان

وإن شئت قلت كما قال ابن القيم رحمه الله وغيره: إن التوحيد نوعان:

توحيد في المعرفة والإثبات — ويدخل فيه توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

وتوحيد في الطلب والقصد — ويدخل فيه توحيد الألوهية؛ وهو التوحيد الذي لأجله — كما يقول ابن القيم — أرسلت الرسل

وَأُنزِلَتْ الْكِتَابَ، بَلْ كُلُّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ مُتَضَمِّنَةٌ لِنَوْعِي
التَّوْحِيدِ.

فَإِذَا مَرَرْتَ بِكِتَابٍ وَقَرَأْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسَمَيْنِ فَهَذَا
هُوَ؛ وَهُوَ تَقْسِيمٌ مُجْمَلٌ يَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ.



أدلة الباب

الآيات التي ساقها المؤلف

— الآية الأولى —

قال رحمه الله: وقول الله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ٥٦].

لاحظ يا أحبته دقة الشيخ في الاستدلال؛ فهذا أول دليل في كتاب التوحيد، أراد به أن يبين لك معنى التوحيد: أنه إفراد الله بالعبادة. وليس المقصود بالتوحيد — كما يقول بعض الناس — الربوبية فقط؛ فإذا قلت له: ما معنى «لا إله إلا الله»؟ قال: أي لا خالق إلا الله، لا رازق إلا الله! وهذا معنى خطأ، كما تفعله بعض الجماعات المنحرفة.

وبين لنا الحكمة من خلق الثقلين، وجاء بالحصار في الآية: إِلَّا لِيَعْبُدُونِ؛ فحصر الحكمة من خلق الجن والإنس في شيء واحد هو العبادة. ثم سخر لهم بقية الأشياء، وسخر لهم ما في هذه الدنيا ليستعينوا به على القرب إليه سبحانه.

فَلْيَعْبُدُونِ أي ليوحدون؛ لأن التوحيد والعبادة شيء واحد. وما دام أن الله خلق الثقلين لعبادته، فهذا يدل على أن العبادة هي الأصل، وأن التوحيد هو الأساس؛ فوجودنا على هذه الأرض من أجل شيء واحد.

ثم قال سبحانه: **مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا** [الذاريات: ٥٧]. وفيه بيان أنه سبحانه ليس بحاجة إلى عبادتنا، وإنما نحن المحتاجون إليها؛ فالله لا تضره معصية العاصي، ولا تنفعه طاعة المطيع؛ إنما الطاعة تنفع صاحبها في الدنيا والآخرة، والمعصية تضر صاحبها، فإنه يراكم على نفسه الذنوب والسيئات، وقد تكون من المعاصي الجارية التي تجري عليه بعد موته — نسأل الله السلامة — وقد ابتلي الناس في هذا الزمن بالأجهزة ووسائل التواصل، فمنهم من استغلها في الخير وهذه نعمت عظيمة، ومنهم من استغلها في الشر والمعصية.

— الآية الثانية —

قال رحمه الله: وقوله: **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** [النحل: ٣٦].

«الأمّة» هنا قيل: الجماعة، وقيل: الجيل، وقيل: الطائفة من الناس. و«الرسول»: من أُوحيَ إليه بشرع وأمر بتبليغه. والرسل كثيرون: منهم من سمّاه الله لنا في القرآن أو السنّة، ومنهم من لم يسمّه، كما قال تعالى: **وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ** [النساء: ١٦٤]؛ فنحن نوّمن بجميع الرسل من عرفنا ومن لم نعرف، والإيمان بالرسل أحد أركان الإيمان الستّة.

ما الطاغوت؟

قوله: **أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ أَمْرًا، وَوَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ أَمْرًا** بمعنى النهي. والطاغوت مأخوذ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد في كل شيء. ويُطلق ويراد به الشيطان وهو رأس الطواغيت، ويُطلق على السحرة، وعلى الكهنة، وعلى كل من حكم بغير ما أنزل الله، وعلى من أمر الناس أن يتبعوه في غير طاعة الله عز وجل.

قال ابن القيم رحمه الله: «الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله».

والمرادُ به في هذه الآية: كلُّ من عبَدَ من دونِ الله — أصنامٌ، أوْثانٌ، أضرحّت، وغيرُ ذلك. ولكن من عبَدَ من دونِ الله ولم يَرْضَ بذلك فليس بطاغوت؛ كعيسى عليه السلام، وكعبادِ الله الصالحين من الأولياء الذين لم يرضوا أن يُعبَدوا من دونِ الله. وأما من عبَدَ وهو راضٍ فهو طاغوتٌ كفرعون ونحوه.

قال تعالى: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ [سبأ: ٤٠-٤١].

فمعنى الآية أن الله أخبر أنه بعث في كل طائفة من الناس رسولاً بهذه الكلمة: اعبدوا الله وحده لا شريك له، اخلصوا العبادة له واتركوا عبادة ما سواه. كما قال تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَأَ انْفِصَامَ لَهَا [البقرة: ٢٥٦]؛ وهذا معنى «لا إله إلا الله»، فإنها هي العروة الوثقى.

فدلّت الآية على أن الحكمة في إرسال الرسل دعوة الأمم إلى عبادة الله وحده لا شريك له؛ وهذا ما ينبغي على الدعاة إلى الله أن يدعوا به، لأن الداعي إلى الله من ورثة الأنبياء. وهذا

دين الأنبياء والمرسلين وإن اختلفت شرائعهم، كما قال تعالى:
لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا [المائدة: ٤٨] — ولكن
 الجميع دعوا إلى التوحيد.

— الآية الثالثة —

قال رحمه الله: وقوله: **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** [الإسراء: ٢٣].

قال مجاهد: «قضى» يعني: وصى. وقرأ بها أبي بن كعب وابن مسعود وغيرهما. ونقل ابن جرير الطبري رحمه الله عن ابن عباس قال: «**وَقَضَىٰ رَبُّكَ**» يعني: أمر. فأمر الله ألا نعبد إلا إياه، أي أن نعبده وحده دون سواه؛ وهذا هو الأصل من وجودنا على هذه الأرض، وهو معنى «لا إله إلا الله».

قال ابن القيم رحمه الله — وهذا كلام مهم —: «والنفي المحض ليس توحيداً، وكذلك الإثبات بدون نفي؛ فلا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات». ف«لا إله» نفي، و«إلا الله» إثبات؛ فإذا حصل النفي والإثبات حصل التوحيد. فمن أثبت العبادة لله ولم ينفيها عن سواه لم يكن موحدًا.

برُّ الوالدين

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا أَي تَحْسِنُ إِلَيْهِمَا كَمَا قَضَى اللَّهُ وَأَمَرَ؛ فَجَعَلَ اللَّهُ طَاعَةَ الوالدين بعد حَقِّه وهو التوحيد.

إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا [الإسراء: ٢٣-٢٤].

فَالأُبُّ فِي شِبَابِهِ قَدْ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْكَ — مَعَ أَنَّ بَرَّهُ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ — لَكِنْ فِي حَالِ الْكِبَرِ يَحْتَاجُ الْوَالِدَانِ إِلَى أَبْنَائِهِمَا فَيَقُومُونَ بِحَقِّهِمَا. وَأُفٌّ كَلِمَةٌ مَكُونَةٌ مِنْ حَرْفَيْنِ وَمَعَ ذَلِكَ نَهَى اللَّهُ عَنْهَا؛ وَقَوْلُهُ وَلَا تَنْهَرُهُمَا أَي لَا يَصْدُرُ مِنْكَ فِعْلٌ قَبِيحٌ، حَتَّى قَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِبَاحٍ فِي تَفْسِيرِهَا: «وَلَا تَنْفُضْ يَدَيْكَ عَلَيْهِمَا». وَهَذَا فِي زَمَانِنَا قَدْ تَعَدَّى إِلَى مَا هُوَ أَشَدُّ؛ فبَعْضُ النَّاسِ قَدْ يَسُبُّ وَالِدَهُ، وَبَعْضُهُمْ يَرْفَعُ صَوْتَهُ عَلَى وَالِدِهِ أَوْ وَالِدَتِهِ — نَسَأَلَ اللَّهُ السَّلَامَةَ.

ثُمَّ أَمَرَ بَعْدَ النِّهْيِ عَنِ الْقَوْلِ الْقَبِيحِ بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ الطَّيِّبِ بِالْأَدَبِ وَالتَّوْقِيرِ، وَبِالتَّوَاضُعِ لَهُمَا؛ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا أَي فِي كِبَرِهِمَا وَعِنْدَ

وفاتهما. ولهذا استنبط بعض أهل العلم أن في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم براً بوالديه، لأنه يذكر فيها فلان بن فلان.

— الآية الرابعة —

قال رحمه الله: وقوله: **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** [النساء: ٣٦].

وهذا أيضاً أمر بعبادته وحده لا شريك له — توحيد الألوهية. فالأمر: **وَاعْبُدُوا اللَّهَ**، والنهي: **وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** من مخلوقاته؛ كما ذكره ابن كثير وغيره من المفسرين.

— الآية الخامسة —

قال رحمه الله: وقوله: **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** [الأنعام: ١٥١].

هذه الآية تسمى آية الحقوق العشرة؛ فقد تضمنت عشرة حقوق، وابتدأت بحق الله عز وجل وهو التوحيد. وهذا هو الشاهد من إيرادها في هذا الباب؛ أنها ابتدأت بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك؛ فدلّت على أن التوحيد أوجب الواجبات، وأن الشرك أعظم المحرمات. وفيها أيضاً تفسير التوحيد؛ أنه عبادة الله

وحده وترك الشرك؛ وهذا وجه مطابقتها للترجمة. فبدأ هذه الوصايا بأعظم الذنوب: **أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** — لا قليلاً ولا كثيراً، ولا صغيراً ولا كبيراً.

— أثر ابن مسعود رضي الله عنه —

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمته فليقرأ: **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَى قَوْلِهِ: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا**».

أي من أراد أن ينظر إلى الوصية التي كأنها كتبت وختم عليها فلم تُغَيَّرْ ولم تُبَدَّلْ، فليقرأ هذه الآيات، وقد ختمها الله بقوله: **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ [الأنعام: ١٥٣]**.

وفسر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية بالقول وبالفعل؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم **خَطَّ** خطاً بيده ثم قال: «**هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا**»، ثم **خَطَّ** عن يمينه وشماله خطوطاً، ثم قال: «**هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**»، ثم قرأ: **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**.

فالمقصودُ يا أحبَّتِ أنَّ الصراطَ المستقيمَ هو ما أمرَ اللهُ بسلوكه، ودعا الناسَ أن يطلبوا الهدايةَ إليه، وهو الطريقُ الموصلُ إلى رضوانه. فسرَّ على ما أمرَك اللهُ به وأمرَك به النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وانتَه عما نهاك عنه؛ فإنَّ حصلَ منك انحرافٌ أو تقصيرٌ فعُدَّ إلى هذا الطريق. والعبرةُ ليست أن تمشيَ على الطريقِ حتى ينتهي، وإنما أن تموتَ وأنتَ عليه: مُتَّ وأنتَ على السُنَّة، مُتَّ وأنتَ على الإسلام، مُتَّ وأنتَ على التوحيد. فبادرْ بالتوبةِ إنَّ حصلَ منك زللٌ أو تقصيرٌ.

حديث معاذ

حقُّ الله على العبادِ وحقُّ العبادِ عليه

قال رحمه الله: وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:

كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ لِي: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّوْا» [متفق عليه].

وهذا الحديثُ ختم به المؤلفُ هذا الباب، وفيه جملةٌ من الفوائدِ أذكرها مختصرة:

فوائد الحديث

الأولى: فيه بيانُ تواضعِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، حيثُ أَرَدَفَ صاحبه معه على الحمار.

الثانية: جواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق أكثر من راكب؛ أما إذا كانت لا تطيق فلا. ولهذا شكا الجمل إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن صاحبه يحمّله ما لا يطيق، فنادى صاحبه ونصحه ووعظه.

الثالثة: مشروعيتها طرح العالم المسائل العلمية على الطلاب، كما طرح النبي صلى الله عليه وسلم هذه المسألة على معاذ؛ ليحصل منهم الاهتمام بالمسألة وفهمها.

الرابعة: فيه رد العلم إلى الله ورسوله لمن لا يعلم أيام حياة النبي صلى الله عليه وسلم. وأما بعد وفاته فنرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله والبحث فيهما. قال أهل العلم: إن سئلت عن مسألة شرعية فقلت: «الله ورسوله أعلم» جاز ذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم بعلوم الشرع؛ وأما إن سئلت عن أمر دنيوي أو غيبي — كهل ينزل المطر غداً — فلا يقال فيه ذلك. وقد فصل فيه شيخنا الشيخ محمد بن عثيمين في شرحه على كتاب التوحيد.

— حقُّ الله على العباد —

الخامسة: فيه بيان أن لله الحق على مخلوقاته جميعاً كل بحسب حاله؛ فعلى الإنس والجن أن يعبدوه وحده لا شريك له، ولا يُشركوا معه أحداً من خلقه، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا. فحقُّ الله على العباد هو التوحيد.

— حقُّ العباد عليه —

وأما حقُّ العباد على الله فليس للعباد حق على الله، ولكنَّه حقُّ أوجبَه الله على نفسه تَكْرُماً وتفضُّلاً على مخلوقاته، ولم يُوجبَه عليه أحدٌ من الخلق — خلافاً لما تقولُه بعضُ الفرقِ الضالَّةِ المبتدعةِ كالمعتزلة الذين يقولون: إنَّ الله يجبُ عليه فعلُ الأصلح؛ وهؤلاء من أجهلِ الناسِ بحقِّ الله وقدره، فما قدروه حقَّ قدره.

وأما أهل السنَّة والجماعة فيقولون: إنَّ الله أوجبَ على نفسه تفضُّلاً وتكْرُماً ألاَّ يعذبَ من لا يشركُ به شيئاً، أي لا يعذبُه كما يعذبُ الكفار؛ لا أنَّه لا يدخلُ النارَ نهائياً. فالموحِّد ليس له خلودٌ في النار، وقد يُعذبُ من المسلمين من ماتَ على كبائرٍ لم يتبَ منها فهو تحت المشيئة.

قال أهل العلم: يُعَذَّبُ المَوْحِدُونَ بنارٍ غيرِ نارِ الكُفَّارِ، وفي طبقةٍ غيرِ طبقاتِهِمْ — وَمَمَّنْ قَرَّرَ ذَلِكَ شَيْخُنَا الشَّيْخُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ وشَيْخُنَا الشَّيْخُ زَيْدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ. وليس في النارِ شيءٌ هَيِّنٌ يا أَحِبَّةَ، فلا نتساهلُ بهذا؛ لَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ يَتَفَاوَتُ مِنْ حَيْثُ الْعِظَمُ وَمِنْ حَيْثُ الزَّمَانِ. والأحاديثُ في هذا كثيرة، ومنها حديثُ الشَّفاعَةِ الطَّوِيلِ.

مسائل الباب

المسائل الأربع والعشرون

قال رحمه الله: فيه مسائل.

ويا أحبّتي هناك مؤلّفات أفردت في شرح هذه المسائل، منها التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد للشيخ عبد الله بن محمد بن أحمد الدويش المتوفى سنة ١٤٠٩هـ، وكذلك بعض الرسائل الأكاديمية المعاصرة. وسيكون التعليق عليها مختصراً جداً.

الأولى: الحكمَةُ في خلق الجن والإنس. أي أن الله خلقهم لعبادته.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه. أي أن العبادة التي خلقوا لها هي توحيد الألوهية، لأن كل رسول يقول لقومه: اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ فيردون عليه. وأما توحيد الربوبية فغالب الأمر قد آمنوا به، حتى فرعون آمن به وإن أنكره بلسانه.

الثالثة: أَنْ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ، فُضِيهِ مَعْنَى وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أُعْبُدُ. أي من لم يُفِرِدِ اللَّهَ بالعبادة لم يعبدِ اللَّهَ حقيقةً وإن عبده في بعض الأحيان؛ فمن يصلي ثم إذا أراد أن يدعو دعا القبور أو الأولياء أو ذبح لغير اللَّه فهذا لا يُوصَفُ بعبادة اللَّه بالتوحيد الخالص.

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام — أي ليأمرُوا الأمم بعبادة اللَّه وحده واجتناب الطاغوت.

الخامسة: أَنَّ الرِسَالَةَ عَمَّتْ كُلَّ أُمَّةٍ. وأفاد ذلك أَنَّ الرِسَالَةَ عَمَّتْ جميع الأمم؛ لتقام الحجة عليهم، قال تعالى: **لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** [النساء: ١٦٥]، وهذا من عدلِ اللَّه عز وجل.

السادسة: أَنَّ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ. لِأَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ أَنَّ كُلَّ الرُّسُلِ قالوا لأقوامهم: اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت؛ فالشرائع مختلفة والأصل واحد وهو التوحيد.

السابعة — وهي المسألة الكبيرة: أَنَّ عِبَادَةَ اللَّهَ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بالكفر بالطاغوت، فُضِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ: **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى.** وهذا هو ما تقدّم من

قول ابن القيم: لا بد أن يشتمل التوحيد على النفي والإثبات؛ فمن لم يكفر بالطاغوت فليس عابداً لله حقيقة وإن سمى نفسه موحداً — فلا تنفع الأسماء بلا أفعال.

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله — ولا نسميه طاغوتا إلا إذا رضي بذلك.

التاسعة: عظم شأن الآيات المحكمات الثلاث في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل: أولها النهي عن الشرك، والثانية الوصية بالوالدين، والثالثة النهي عن قتل الأولاد، والرابعة النهي عن قربان الفواحش، والخامسة النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والسادسة النهي عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، والسابعة الوفاء بالكيل والميزان، والثامنة الأمر بالعدل، والتاسعة الوفاء بالعهد، والعاشر الأمر باتّباع الصراط المستقيم وترك اتّباع ما سواه من السبل — وهذه مسائل واحدة خلافاً لمن جعلها مسألتين.

العاشر: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها الله بقوله: **لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُوماً، وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلَاقَى فِي**

**جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا، وَنَبَّهَ سُبْحَانَهُ عَلَى عِظَمِ شَأْنِهَا بِقَوْلِهِ: ذَلِكُ
مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ.**

وهي: النهي عن جعل إله آخر مع الله وهو الشرك الأكبر، والأمر بعبادة الله وحده، والأمر بالإحسان إلى الوالدين، وإيتاء ذي القربى حقه، وإيتاء المسكين حقه، وإيتاء ابن السبيل حقه، والنهي عن التبذير، والنهي عن الإمساك بدون إسراف، والنهي عن قتل الأولاد، والنهي عن الزنا، والنهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والنهي عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، والوفاء بالعهد، والوفاء بالكيل، والوفاء بالوزن، والنهي عن القول بغير علم، والنهي عن المشي في الأرض مرحًا، والنهي عن الشرك. ويحتمل أن يُعَدَّ النهي عن الإسراف مسألةً ويُحذف الأمر بالوفاء بالوزن لدخوله فيما قبله.

الحادية عشرة: آيات سورة النساء التي تُسمى آيات الحقوق العشرة،
بدأها الله تعالى بقوله: **وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا؛ وهي:**
الأمر بعبادة الله، ثم الإحسان إلى الوالدين، فذي القربى، فاليتامى، فالمساكين، فالجار ذي القربى، فالجار الجنب، فالصاحب بالجنب، فابن السبيل، فملك اليمين.

الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته. استنبطها الشيخ من قول ابن مسعود: «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمته».

الثالثة عشرة: معرفة حق الله علينا — أي أن نعبدَه ولا نُشركَ به شيئاً، وهذا هو الحق الواجب.

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه — أي ألا يعذبهم؛ وهذا حق إنعام وتفضل منه سبحانه، وليس واجباً بالقياس على المخلوق كما ادّعت المعتزلة.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة. فقد خفيت على معاذٍ مع علمه، ولهذا قال: «أفلا أبشّر الناس؟» فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم وأمره أن يكتمها عنهم مخافة الاتكال على سعة رحمة الله.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة. والمصلحة أنهم يعملون ولا يتكلمون؛ فربما تركوا العمل إذا سمعوا بمثل هذا ففادتهم مصالح كثيرة.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسره. أخذها من قوله: «أفلا أبشّر الناس؟».

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله. أخذها من قوله: «فِيَتَّكَلَّوا» أي يعتمدون على هذا الفضل فيتركون التنافس في الأعمال الصالحة فيفوتهم الخير الكثير.

التاسعة عشرة: قول المسؤول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم. وهذا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم؛ وأما بعد موته فيقول: «الله أعلم»، كما نبه عليه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين رحمه الله.

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض. فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا ونهاه أن يخبر الناس؛ فيجوز للعالم أن يخص طالبًا بعلمٍ دون غيره.

الحادية والعشرون: تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الإرداف عليه. وهذا دليل تواضعه، لأن المتكبرين لا يفعلون ذلك.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة — بشرط أن تطيق ذلك.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ إذ كان بهذه المنزلة من النبي صلى الله عليه وسلم، وخصه بهذا العلم،

وأردفه معه.

الرابعة والعشرون: عِظْمُ شَأْنِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ — أَيِ مَعْرِفَةِ حَقِّ اللَّهِ
عَلَى الْعِبَادِ وَحَقِّ الْعِبَادِ عَلَيْهِ إِذَا أَدَّوْا هَذَا الْحَقَّ.



ختم

خاتمة الدرس ودعاء الشيخ

وبهذا تنتهي هذه المسائل بتعليق يسير عليها، وهو منقول من كتب أهل العلم.

فأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكُمْ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ الْقَائِمِينَ بِهِ، الْعَامِلِينَ بِهِ، الدَّاعِينَ إِلَيْهِ، النَّاظِرِينَ لَهُ. وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ غُفِرَ لَهُمْ وَمِمَّنْ رَحِمَهُمْ، وَأَنْ يَغْفِرَ لِي وَلَكُمْ وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.

هذا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.

للحفظ والمراجعة

فوائد الدرس

فوائد مُستخلصة من كلام الشيخ في هذا الدرس، للحفظ والمراجعة

1 العلم بالله ومعرفة حقه على عباده وتحقيق توحيده من أشرف العلوم وأعظمها قدرًا.

2 التوحيد أصل دعوة الرسل جميعًا، وأساس قبول الأعمال؛ فلا يُقبل عمل مع الشرك.

3 كما دعا الأنبياء إلى التوحيد وعلموه، سار ورثتهم من العلماء على ذلك فصنّفوا فيه وبينوه.

4 استغنى المؤلف بترجمة «كتاب التوحيد» عن الخطبة؛ إذ من الأدب ألا يجعل فاصل بين الحق والعدل عليه.

5 التوحيد ثلاث أقسام: الأسماء والصفات، والربوبية، والألوهية — وهو أهمها ومقصود الرسل.

6 قسمه ابن القيم نوعين: توحيدًا في المعرفة والإثبات، وتوحيدًا في الطلب والقصد.

7 لا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات؛ فالنفي المحض ليس توحيداً، والإثبات بلا نفي كذلك.

8 الحكمة من خلق الثقلين محصورة في العبادة، وما سخر لهم فوسيلةً للقرب من الله تعالى.

9 الله غني عن عبادتنا؛ فالطاعة تنفع صاحبها، والمعصية تضر صاحبها ولا تضر الله شيئاً.

10 الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله.

11 من عبد من دون الله ولم يرض بذلك فليس بطاغوت، كعيسى عليه السلام والصالحين.

12 عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت؛ فلا تنفع دعوى التوحيد بلا عمل.

13 آية الأنعام ابتدأت بالتوحيد والنهي عن الشرك؛ فدللت على أنه أوجب الواجبات والشرك أعظم المحرمات.

14 العبرة ليست أن تمشي على الطريق حتى ينتهي، بل أن تموت وأنت عليه؛ فبادر بالتوبة عند الزل.

15 حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً؛ وهو التوحيد.

16 ليس للعباد حق على الله إلزاماً، وإنما أوجبه على نفسه تَكْرُماً وتفضلاً — خلافاً للمعتزلة.

17 معنى ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً: ألا يعذبه عذاب الكفار المخلدين، لا نفي العذاب مطلقاً.

18 يجوز كتمان العلم للمصلحة، كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً أن يبشّر الناس خشية الاتكال.



ميراث الأنبياء



افتح صفحة التفرغ على الموقع

Miraath.Net · @Miraath_Net · @MiraathNet
MiraathF · @Miraathalanbeyaa · MiraathNetTV

قام بها فريق التفرغ بموقع ميراث الأنبياء